المجمع 19 (1445/2024)، 251-272

الانفتاح اللغوي في المشروع النّحوي لابن جناح القرطبيّ: آليّاته وتحدّياته وآفاقه

مليكة ناعيم[1]

Linguistic openness in The Theoretical Grammar of Yonna Ibn Jannah the Jew of Cordovan: Devices, Challenges and its Prospects

Malika Naaim

Abstract

"This research paper aims to show how Arabic grammatical thinking represented the basis for building the Hebrew grammar, whether at the level of the adopted mechanisms or at the level of the study curriculum and its evidence through theYona IBn Jannah Al-Qurtubi project. The research paper will explain the main reasons that enabled Ibn Jannah to invest this model in his grammar project as one of the founders of Hebrew grammar, and the challenges faced in adopting it, especially from some Hebrew groups, then the results he achieved by adopting the Arabic curriculum in the study, and the prospects it opened for those who came after him. the study will take from The book entitled Al-Moustalhik as its starting point with openness to the two books Al-Usul (Origins) and Al-Lumaa during treatment, and the study will be based on the descriptive and comparative approaches. The main objective of the study is to draw up a plan to review the Arabic grammar lesson through openness to the linguistic patterns affecting some of its issues.

Keywords: Hebrew Grammar, Ibn Jinnah The Jew of Cordovan, Arabic Grammar, and Al-Moustalhik Book.

[1] جامعة القاضي عياض، المغرب.

الملخّص:

تروم هذه الورقة البحثيّة بيان كيف مثّل التّفكير النّحويّ العربيّ أساس بناء النّحو العبراني، سواء على مستوى الآليات المعتمدة أو على مستوى منهج الدّراسة وشواهدها من خلال مشروع مروان بن جناح القرطبي. وستوضح الورقة البحثيّة الأسباب الرئيسة التي هيّأت لابن جناح استثمار هذا النموذج في مشروعه النحوي بوصفه من مؤسسي النّحو العبراني، والتحديات التي واجهت تبنيه له لاسيما من بعض الفئات العبرانية، ثم النتائج التي حققها من خلال اعتماد المنهج العربي في الدراسة، والآفاق التي فتحها للدراسات اللغوية الحديثة، ومن ثم ستتخذ الدراسة من كتابه **المستلحق** منطلقا لها مع الانفتاح على كتابي الأصول واللمع أثناء المعالجة، وستستند الدراسة إلى المنهجين الوصفي والمقارن، والهدف الأساس منها رسم خطة لمراجعة الدرس النحوي العربي عبر الانفتاح على الأنساق اللغوية المؤثرة في بعض قضاياه.

الكلمات المفاتح: النّحو العبراني، وابن جناح القرطبي، والنّحو العربي، وكتاب المستلحق.

مقدّمة:

تميّز التّراث اللغوي الأندلسي بالانفتاح على اللغات والثّقافات الآخر، لاسيّما السّامية والشرقية بفضل انفتاح البيئة وتعايشها السلمي وتسامحها الحضري مع الأجناس والأديان. ولم يكن تقبل الأمر، لاسيما العربية بالنسبة للعبري في البداية بحكم الموقف العقدي والوضع السياسي والاجتماعي، يسيرا، وإنما احتاج إلى التدرج بل المراوغة في البناء لإقناع الفئة المنغلقة **بالأمر؛ ومنهم النّحوي دوناش وعنان بن دافيد ومناحيم بن سروق وغيرهم من** "الرّوافض" الذين يرفضون أي نص ما عدا المقرأ (التّوراة)، فكيف باللغة العربية، لذلك نلحظ بَين كتب ابن جناح القرطبي (توفي حوالي 1050 للميلاد) نفسه فروقا في مستوى حضور اللغة العربية وطبيعته، نظرا لما واجهه من خصومه من نقد لاذع واعتراض، غير أن المميز لهذا الحضور أنه ليس حضورا في إطار مقارن فقط ولا لتبيان التأثير والتأثر فهذا أمر وارد في الدراسات اللغوية، وإنما على مستوى اتخاذها النموذج والمرجع ومنهج الاشتغال ولغة الكتابة. ولما يثيره الأمر بالنسبة للعبرانيين المتشدّدين من مواقف، اختار ابن جناح القرطبي

اقتفاء أثر سعديا الفيومي بِعَده أول من فسر النص المقدس اعتمادا على اللغة العربية بجانب لغة التلمود واللغة السريانية في بلاد الرافدين، مع التمهيد لقبوله لدى المتلقي العبري الرافض للانفتاح بنصوص يبدو فيها بعض الاضطراب بين الانتصار للذات بإقناع المتلقي بقوة العبرية، والخنوع لواقع الحاجة الملحة إلى اللغة العربية. فكيف تجاوز ابن جناح ضعف اللغة العبرية في عصره وعدم كفايتها لدراسة لغة المقرأ بالاعتماد على اللغة العربية؟ وكيف يمكن الاستفادة من منهج ابن جناح في تجديد مناهج البحث العلمي في العلوم الإنسانية؟ ستجيب الدراسة عن هذه الأسئلة من خلال محاور ثلاثة متبعة في المعالجة منهجا وصفيا تحليليا.

1) الظروف التي هيأت لابن جناح استثمار المنهج النحوي العربي:

لم يكن أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي ليستثمر اللغة والنّحو العربيين في تأسيس نحو "المقرأ" بالأساس ونحو العبرانية بشكل عام، لولا أن ثمة ظروفا هيأت له هذا الانفتاح الفكري ويسرته له، وفيما يلي سرد باختصار لأهم الأسباب التي استفاد منها مشروعه النحوي، وبيان كيف يمكن أن نستفيد منها في مراجعة الفكر النحوي العربي:

1. نشأة أبي الوليد في البيئة الأندلسية، وهي بيئة تتميز فضلا عن حضور اللغة العربية ومفكريها وعلماء اللغة الكبار فيها، بطابعها الاجتماعي المتسم بالتعايش الاجتماعي والتسامح الديني"النصارى واليهود إلى جانب المسلمين في مجتمع واحد يسوى فيه بينهم في جميع الحقوق والواجبات.. تقوم الكنائس والبيع إلى جانب المساجد"[1]، مما يسر للأقليات غير العربية الاندماج في المجتمع، وتقلد مناصب مهمة، والإبداع في مجالات مختلفة منها التأليف في الفكر اللغوي في مختلف تجلياته. فعلى الرغم من أن أبا الوليد كان يشكو من الظروف، ويدعي عدم الرضا بالعيش في قرطبة عبر مجموعة من الإشارات التي قد تكون فقط من باب إرضاء خصوم الملة الإسلامية من المتعصبين الذين يصفهم

[1] محمد عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ط. 4 (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1997)، 65/1.

في كتبه بالمتخشعين المتشدقين وغيرها من الأوصاف الناقدة والمظهرة للموقف الرافض لآرائهم ومذاهبهم، من ذلك قوله: "ومما كسل همتي عن ذلك أيضا ما نحن عليه من الجلاء المقدر علينا والحل والترحال الذي نحن بسبيله"[1]، إلا أن أعماله الكثيرة وإقراره بأهمية البيئة ولغتها في إنتاجها، حجج واضحة على أن البيئة الأندلسية هيأت له ظروف الإبداع والفكر، ففيها ألف أعماله وأسس مشروعه والتقى كبار المفكرين ممن استفاد منهم مباشرة أو عبر أعمالهم.

ويُظهر أثر البيئة في المشروع الفكري لأبي الوليد وكثير من المفكرين الأندلسيين سواء منهم المسلمين أو اليهود، أهمية توفير البيئة الآمنة والمحيط السليم والمسالم في البحث العلمي، وما أحوجنا في هذا العصر الذي يعرف طفرة فكرية وسرعة في بناء النظريات والأطر النظرية إلى هذا التعايش السلمي وهذا السلم الحضري وهذه البيئة السليمة الآمنة، ليركز الإنسان على بناء الفكر المفيد والنظريات العلمية الهادفة، وتبادل التجارب والخبرات المعرفية والفكرية، وهي دعوة إلى اتخاذ النموذج الأندلسي عبرة والاستفادة منه في مراجعة أوضاع العالم الحالي الذي يتجه نحو التشرذم والصراعات الإقليمية، في الوقت الذي تنص فيه العلوم على أهمية الوحدة والتضامن.

2. مُكنته في اللغة العربية والتي تضاهي أهل الاختصاص والعرب الخلص، وقد هيأت له سبل الاطلاع على الأصول العربية من كتب النّحو واللغة وكتب التفسير والمعاجم وغيرها، والغريب أنها كانت حاضرة بقوة في أعماله عبر الأفكار والتلميحات وعبر الإحالات المبهمة، لكن ثمة تحديات سنذكرها فيما بعد، حالت دون التصريح بالعنوانات ولا بالأسماء. يسرت هذه المكنة لأبي الوليد، فضلا عن المقارنة واستحضار النموذج العربي في الدراسة، اعتماد اللغة العربية وسيلة لكتابة أعماله كلها، لكن بالحرف العبراني. وقد كانت لغة كتبه عربية

[1] ابن جناح أبو الوليد مروان القرطبى، **المستلحق**، ضمن: **كتب ورسائل لأبي الوليد مروان ابن جناح القرطبي**، طبعه مع ترجمه إلى الفرنسية جوزيف ديرنبورغ وهرتويج ديرنبورغ (باريس: المطبعة الوطنية، د.ت.)، 3.

فصيحة سليمة وماتعة في القراءة، باستثناء بعض ما تسلل إلى بعض المواضع من الركاكة الناتجة عن استحضار النموذج العبري أو الترجمة الحرفية من العبرية إلى العربية، وربما نتيجة تحريفات النساخ وتصرفهم في المتن؛ إذ يبدو من النسخة المطبوعة من المستلحق أن نساخها كثر، فأحيانا يشار إليه بقال مروان ابن جناح وأحيانا بقال المؤلف... لكنها نادرة جدا مقارنة بما هو عربي صرف فصيح.

ولم تتح العربية لابن جناح فقط آلية الكتابة، وإنما يسرت له أيضا المعطيات الأساس للدراسة، بحيث إنه في دراسته للعبرانية تتجاوز المادة العربية الموظفة من نصوص وأمثلة ومعطيات المادة العبرانية نفسها التي هي محور المعالجة، ويعلل ابن جناح الأمر في كثير من المواضع، مفترضا انتقادات غيره، بأنها اللغة التي يفهمها العبرانيون في زمانه، يقول: "قد ذكرت أصلحك الله في חזכו ما لم يأبه إليه أحد من العبرانيين من قبلي وأنا أرغب إلى من رأى قولي فيه من المتقشفين المنخشعين وذكري لما استعملته العرب فيما نحوه ألا ينكر ذلك علي فإني لم استشهد بلغة العرب على سبيل التثبيت لمذهبي فيه ولا لأن اللغة العبرانية مضطرة إلى اللغة العربية بل لما ذكرته لك من أن كثيرا من العبرانيين لم يعتادوا سماع مثل هذا فخشيت أن يسبق إلى قلوبهم إنكاره فأريتهم أن مثل هذا רב סעדיח [سعديا] في تعليقه على ספר יצירא فإنه لما ذكر هناك أن أهل طبرية ينطقون بالياء المشددة جيما ذكر أيضا أن العرب قد تفعل ذلك واستشهد ببعض كلامهم فيه"[1]، بعد أن ضاعت العبرانية من التواصل وانحصرت في مجال العبادة وأماكنها منذ السبي البابلي.

إن هذا الاحتفاء بالعربية والاستفادة منها في بناء أنحاء اللغات ذات العلاقة باللغة العربية لم تنحصر في العبرانيين، وإنما تبناها غيرهم من اللغويين الأندلسيين، من ذلك براعة أبي حيان الغرناطي (745هـ) في صناعة نحو كل من اللغة التركية والفارسية والحبشية وغيرها بالحرف واللغة العربيين - ولم ينشر منها إلا كتاب الإدراك للسان

[1] ابن جناح، **المستلحق**، 140-141.

الأتراك- ووفق النموذج النحوي العربي، فسطر بذلك منهجا ييسر تعلم تلك اللغات، لاسيما أنه يجمع في أعماله علومها اللغوية من معجم وصواتة وصرف وتركيب، وبالطريقة نفسها تعلم تلك اللغات بين متكلّميها الخلص وفي بيئاتهم[1].

إن هذه الطريقة في تعلم اللغات وتعليمها أيضا واستثمارها في الدراسة تمثل من أهم الطرق الناجعة، ذلك أن تعلم اللغة من أهلها يجعل المتعلم في مستوى المتكلمين الخلص، ويسر له التواصل معهم والاستفادة منهم، كما أنها ستتيح له المقارنة الصحيحة والدقيقة بين لغته الأم واللغة التي يتعلمها، ومن ثم على المؤسسات التي تهتم بعلم المقارن وبالترجمة الاستفادة منها بمد الجسور بين المؤسسات التعليمية في البلدان ذات اللغات سواء المنطلق أو الهدف، والحرص على تبادل الزيارات والاستفادة من فترات للتعلم والتكوين، مما يتيح للطلاب إتقان اللغتين معا والتمرن على استثمار المنهج المعتمد سواء الترجمة أو المقابلة أو المقارنة، ذلك أن الممارسة الصحيحة داخل المحيط الصحيح هو السبيل الفريد لتعلم اللغات وحسن استثمارها كما فعل كل من ابن جناح وأبي حيان الأندلسيين، ولم يكونا عربيين، فالغرناطي كان أمازيغيا من نفزة والقرطبي كان عبرانيا يهوديا، ومع ذلك أبدعا في العربية وبالعربية في دراسة أنحاء لغات غير العربية.

3. الاستفادة من تجربة اللغويين العبرانيين القدماء ذوي المنهج الموضوعي المتفتح، والذين استثمروا اللغة العربية أساسا في دراسة اللغة العبرانية، ونجد في مقدمة هؤلاء شيخ النحاة العبرانيين وأب النّحو العبراني بالأساس، سعديا الفيومي الذي عاش في العراق وألف فيها أول معجم عبراني عربي، وقد اتخذ ابن جناح هذا النموذج حجة له وعلى من يستنكرون منهجه في دراسة العبرانية وانفتاحه في المعالجة على اللغة العربية، من ذلك قوله في نص سابق: "فأريتهم أن مثل هذا רב סעדיח سعديا في تعليقه على ספר יצירא

[1] أبو حيان الغرناطي، **كتاب الإدراك للسان الأتراك**، اهتم بتصحيحه جعفر اوغلي حمد (إسلامبول: مطبعة الأوقاف، 1930).

فإنه لما ذكر هناك أن أهل طبرية ينطقون بالياء المشددة جيما ذكر أيضا أن العرب قد تفعل ذلك واستشهد ببعض كلامهم فيه"[1].

4. التّمكن من اللغات السامية الأخرى إلى جانب العربية، وخاصة اللغة السريانية وإدراك علاقتها بكل من العربية والعبرانية وتوظيفها بأشكال مختلفة في المعالجة، وقد اتخذ ابن جناح حضور اللغة السريانية في الكتاب المقدس وحاجة تفسيره إليها مدخلا لإقناع خصومه بأهمية اللغة العربية، التي تأتي في المرتبة الثانية بعد اللغة السريانية، يقول: "ولو لم نجد الافتعال من لغة زمن وغيره مما فاء فعله زاء مستعمل عند الأوائل لكفانا الاستشهاد فيه باللغة السريانية إذ هي توأم اللغة العبرانية وشقيقتها وأكثر اللغات شبهة بها، يدل على ذلك جريهما في الـ קמצות والـ פתחות وفي أكثر المواضع مجرى واحدا واتفاقهما في حركات איתחיע وفي نظام الافتعال من تأخر التاء فيهما من كل فعل يكون شينا أو سينا أو صادا وفي استبداله فيهما مع الصاد والطاء (...) فخلطوا العبراني بالسرياني لمطابقته له... وادخلوا السرياني مدخل العبراني ومثل هذا الاتفاق كثير جدا في اللغتين في أصناف متباينة. من أجل هذا الاتفاق وكثرة هذه المطابقة كان خواص العبرانيين لا يبخلون من معرفة اللغة السريانية"[2]، ومن ثم لا يجد أي حرج في الاعتماد عليها، بل يتجاوز الأمر في أعماله اعتماد اللغة الواصفة إلى استعارة الشواهد للغة العبرية من اللغة العربية، يقول في اللمع: "وما لم أجد عليه شاهدا مما ذكرته، ووجدت الشاهد عليه من اللسان العربي، لم أنكل من الاستشهاد بواضحه، ولم أتحرج عن الاستدلال بلائحه، كما يتحرج عن ذلك من ضعف علمه وقل تمييزه، من أهل زماننا، لاسيما من استشعر منهم التقشف وارتدى بالتدين مع قلة التحصيل لحقائق الأمور"[3]، وهو ما يفيد الإقرار بالعلاقة

[1] ابن جناح، **المستلحق**، 140-141.

[2] **ن.م.**، 133-134.

[3] ابن جناح مروان القرطبي، **كتاب اللُّمع**، قلب رسم حرفه إلى اللغة العربية ونقحه وقدم له مولاي المامون المريني، قدم له أحمد شحلان، ط.1 (مراكش: مؤسسة آفاق للدراسات والنّشر والاتّصال، 2021)، 50/1.

القوية بين اللغتين وإدراك الأصل المشترك الذي تمثله اللغة السامية الأم المفترضة، يقول في موضع آخر مقارنا بين صه العربية وהס العبرية: "فما أعجب هذا الاتفاق في اللغة العبرانية واللغة العربية فإن العرب تعتقد في صه أنه لفظة غير متصرفة ولا مشتقة من فعل ويقولون صهصهت بمعنى قلت صه كما قال العبرانيون הס ثم قالوا ויהס على أن הס كلمة غير متصرفة ولا مشتقة من الفعل فهذا هو الصحيح عندي"[1]. وإتقان اللغات واستثمارها في الفكر اللغوي، ملكة وهبها الأندلسيون من المسلمين واليهود، فأبو حيان الغرناطي كما أسلفت كان ذا ملكة لغوية؛ إذ أتقن لغات شرقية كثيرة، منها الفارسية والبشمورية (القبطية) والحبشية والتركية، ولم يرد ما يفيد إتقانه للعبرية في ترجمته، لكن نجد في تفسير البحر المحيط إشارات إلى بعض آدابهم وثقافتهم توحي بذلك، والأهم أنه ألف في علوم تلك اللغات اللغوية واستثمرها في حل مشكلات اللغة العربية معجما وتركيبا، وعاب على كثير من النحويين بعض المواقف الناتجة عن عدم الاطلاع على اللغات والثقافات المختلفة، ونحن اليوم أكثر حاجة إلى هذا المنهج من ذي قبل؛ إذ بدا واضحا أن دراسة أي لغة دراسة عميقة وشاملة لا يمكن أن تتم إلا بالانفتاح على اللغات على الأقل التي تشترك معها في الأصل، وقد التزم الأندلسيون بهذا الشرط؛ إذ ركزوا على اللغات السامية والشرقية التي تتبادل مع اللغة العربية لأسباب مختلفة التأثير والتأثر.

لهذا يبدو من المفيد في الجامعات العربية ومؤسسات البحث العلمي إدراج هذه اللغات أو بعضها على الأقل ضمن برامجها، لتتيح للطلاب الانفتاح والاستفادة منها في مراجعة الفكر اللغوي العربي وإعادة دراسة بعض القضايا التي ظلت عالقة، وفي مقدمتها بعض مشكلات المعجم القرآني. وقد انتبهت أوروبا لهذا الأمر منذ زمن بعيد، بحيث أسسوا معاهد للغات الشرقية من مثل معهد اللغات والحضارات الشرقية بباريس، ومعهد اللغات

[1] ابن جناح أبو الوليد مروان القرطبى، **رسالة التنبيه**، ضمن: **كتب ورسائل لأبي الوليد مروان ابن جناح القرطبي**، طبعه مع ترجمه إلى الفرنسية جوزيف ديرنبورغ وهرتويج ديرنبورغ (باريس: المطبعة الوطنية، د.ت.)، 263.

الشرقية ببرلين، وكل من كرسي اللغة العربية وكرسي اللغة الفارسية في معهد التربية المركزي "جامعة بطرسبورغ" بروسيا، ومعهد الدراسات الشرقية في بازل بسويسرا، وتدرس في كل واحد منها هذه اللغات وخاصة العربية.

5. الانفتاح الفكري والاعتقاد بأهمية الاجتهاد في بناء العلوم، لم يكن ابن جناح في ظاهر أمره على الأقل متعصبا ولا متعبدا لمدرسة معينة أو مذهب خاص، وإنما كان ممن يشجعون الاجتهاد في العلوم، ويذمون التقليد والتعصب إلى درجة ينعت فيها المتعصبون في كتبه بأوصاف لا تليق بكتب النّحو منها السخفاء والأغبياء والجهال والرعاع... وهذا الانفتاح الفكري يسر لابن جناح مراجعة الفكر اللغوي العبري، ونقد علمائه الكبار، وفي مقدمتهم شيخه الكبير الحبر أبو زكرياء يحي بن داود الفاسي المشهور بحيوج الذي خصص كتابه المستلحق لنقده والاستدراك عليه، وقد تبنى في مقدمة هذا الكتاب حكمة فلسفية تقضي بتقديم الحق والانتصار له مهما كان المقام والسياق، يقول ابن جناح معللا نقده لشيخه حيوج: "ولم أقصد علم الله في شيء من ذلك الأخذ من الرجل والطعن عليه وكيف ومن بحره غرفنا وبسنده أورينا فهو الذي لا يلحق شأوه ولا يشق غباره لكنا اقتدينا في ذلك بالفيلسوف اختصم الحق وأفلاطون وكلاهما حبيب لنا بل الحق أصدق لنا ولهذا الرجل الفاضل عذر جليل"[1]. فهذا هو شعار اللغويين الأندلسيين من العرب المسلمين واليهود، لا ينبغي التطاول على الشيوخ، ولا تجُوز المحاباة في العلم، وإنما يقتضي الأمر الموضوعية العلمية والحياد الفكري، ومن ثم سلكوا في أعمالهم مذهبا نقديا، يتسم بالموضوعية إلى حد بعيد. والمعنى نفسه بعبارات متماثلة نجدها عند النحويين العرب الأندلسيين، فقد اجمعوا على كلمة اتباع الحق وعلى كلمة عذر السلف، وهذا هو مبدأ الدراسة النقدية الموضعية؛ لا تجامل في العلم لكن لا تبخس الناس أشياءهم. وهذه القناعة هي الأساس الذي أتاح لهم مراجعة العلوم والانفتاح على اللغات والثقافات واستثمارها في مشاريعهم العلمية.

[1] ابن جناح، **المستلحق**، 4.

ولم يكتف ابن جناح بالعلوم اللغوية العربية، وإنما انفتح على الفلسفة واهتم بالمنطق وهو حاضر بقوة في مقدمات أعماله ويصرح باستثماره قائلا: "... لما لم يفهموا ما اجتلبته من المقدمات المنطقية والنتائج العقلية والدلائل الحسية برهانا"[1].

تلكم إذن، هي أهم الأسس التي اعتمد عليها ابن جناح القرطبي، فاستفاد منها في التأسيس لمشروعه الفكري اللغوي، الذي تجاوز به من سبقه، من غير قطيعة مع الأسس السابقة، ولا تنقيص من قيمة الأعمال المنجزة، ولا تبعية لأحد إلا فيما رآه الصواب، ولا تعصب مبالغ فيه للانتماء، في ضوء الأصول التي يعتمدها والنظرية التي يتبناها، وبذلك يمثل مشروعه اللغوي مشروعا موضوعيا إلى حد بعيد، على الرغم من أن ثمة تحديات واجهته. وهو مشروع أندلسي ينبغي أن نستفيد من خطوطه الكبرى في مراجعة مبادئ البحث العلمي الحالية الذي صار معظمه، خاصة ما يتعلق بالأبحاث الأكاديمية، يميل نحو المجاملات والانحياز سواء للأشخاص أو للنظريات، أكثر مما يسعى نحو خدمة البحث العلمي والباحثين أنفسهم، مما جعل البحث العلمي يحيد عن طريق الجدية والجدة والعلمية. وهو أمر ينبغي تداركه بصرامة والتعرض له بحزم عبر اتخاذ المبادئ الأساس للبحث العلمي وفرضها على الباحثين ومراعاتها في تقييم أعمالهم وتقويمها في لجان المناقشات وفي تحكيم البحوث المقترحة للنشر.

2) التحديات التي واجهت ابن جناح في مشروعه:

لم يكن اعتماد اللغة العربية مرجعا لنحو اللغة العبرية أداة ومنهجا ومادة أمرا مُيسَّرا لابن جناح، بحكم هويته ومعتقداته ومواقف قرائه المفترضين من العبرانيين ذوي التوجهات المختلفة والمواقف المتباينة؛ من جهة، وبحكم وضع اللغة العبرانية في عصره والمشكلات التي واجهتها من جهة ثانية. وفيما يأتي شرح ميسّر لأهم التحديات.

[1] ابن جناح أبو الوليد مروان القرطبي، **رسالة التنبيه**، 257.

أولا: البيئة: لم يكن ابن جناح، على الرغم مما تتمتع به الأقليات في الأندلس من الحقوق والسلم والتعايش، راض كل الرضا على وجوده بتلك البيئة، وإنما كان يبدي في كتبه عدم الارتياح؛ إذ يومئ في أعماله عبر عبارات ملغزة إلى أنه مكره على الاستقرار في تلك البيئة القاصية كما يصفها، يقول في اللمع: "وليس ما ذكرته من عدم لقائي لثقات أصحاب التلقين من تقصير وتوان يلحقني في البحث والطلب، فأنتم تعلمون بحثي وطلبي وحرصي ومثابتي على الطلب من لدن نشأتي، لكنه نشأنا في هذه القاصية المرغوب عنها المزهود فيها، فكان ما وقع لي من عدم لقائي من هذه صفته باضطرار"[1]. ويقول أيضا: "ومما كسر همتي عن ذلك أيضا ما نحن عليه من الجلاء المقدر علينا والحل والترحال الذي نحن بسبيله"[2]. يظهر هذان النصان موقف ابن جناح من البيئة التي قدر عليه العيش فيها، وفيهما تحسر على مصير العبرانيين ولغتهم، ويبدو من خلال تتبع كتبه أن التدمر ليس من البيئة في ذاتها كما توحي النصوص وإنما نتيجة الخوف من الحساد، وقد اطردت هذه الكلمة في كتبه والاستعاذة بالله منهم والدعاء لغيره بالسلامة من آذاهم، من ذلك قوله: "وهذا لم أسمع قط عن أحد من العبرانيين أنه ذكره أو أنه نبه إليه، كما لم أسمع عن أحد يذكر كل غريب أتينا به في هذا الكتاب وفي غيره من كتبنا مما نحسد فيه وننافق فيه. فبعضه نجاهد بالطعن عليه وبعضه يعزى إلى قائل غير موجود ولا معروف حسدا لنا على ما قيض لنا الله من ذلك"[3].

ثانيا: الرّوافض والمنتقدون: كان ابن جناح يعاني في كتاباته، التي تتسم بنوع خاص من الانفتاح العلمي والموضوعي خاصة على اللغة العربية وعلومها، مواجهة قوية من الرّوافض العبرانيّين الذين يتبنون فكرة التقيّد بالنّصّ المقدّس المنحصر عندهم في التّوراة ويرفضون غيره من الكتب الدينية العبرانية الأصل من مثل التلمود، والانفتاح على اللغات والثقافات

[1] ابن جناح، **اللمع**، 470/2.

[2] ابن جناح، **المستلحق**، 3.

[3] ابن جناح، **اللمع**، 583/2.

غير العبرانية، لاسيما الثقافة واللغة العربيتين. وقد سجل في كتبه ما يوحي بحجم الضيق الذي لاقاه من هؤلاء طوال فترة تأليفه المثيرة، والتي سئم من تكاليفها الفكرية فقرر عدم الخضوع والاستمرار في منهجه أسوة بمن سبقه من خبراء المجال المتمكنين منه دون المتزمتين من الجهال المنغلقين، الذين تجاوزوا الثقافات واللغات التي تشترك مع لغتهم العبرية الأصل إلى لغات بعيدة من مثل اللاتينية والأمازيغية، يقول: "وما لم أجد عليه شاهدا مما ذكرته، ووجدت الشاهد عليه من اللسان العربي، لم أنكل من الاستشهاد بواضحه، ولم أتحرج عن الاستدلال بلائحه، كما يتحرج عن ذلك من ضعف علمه وقل تمييزه، من أهل زماننا، لاسيما من استشعر منهم التقشف وارتدى بالتدين مع قلة التحصيل لحقائق الأمور"[1]. يظهر النص حجم المعاناة التي يواجهها المثقف العبراني المنفتح في عصر ابن جناح لظهور فئة متحجرة منغلقة ترفض الانفتاح في قراءة المقرإ على أي مرجع آخر ولو كان المشنا وهو الكتاب الديني الرئيس للعبرانيين بعد التّوراة. وهذا يتكرر في عصرنا بالربط بين العلوم والسياسة من جهة، والتعصب من غير فهم ولا استيعاب للأيديولوجيات المتعددة، مما أثر سلبا في البحث العلمي لاسيما في مجال العلوم الإنسانية، حيث صارت السياسة تتحكم في المكتوب وتوجهه، وهو أمر ينبغي تداركه بمحاولة الفصل بين البحث العلمي، لا أقول السياسة فلكل بحث سياسته، لكن أقصد التوجيه السياسي والايديولوجي غير الصحيح، نعم المعتقدات تتحكم فينا والدين مسألة لا تناقش، لكن الحياد والموضوعية مركزيان في البحث العلمي الدقيق والنافع.

ثالثا: وضع اللغة العبرية وحاجات دراسة نحوها: من التحديات التي واجهها ابن جناح القرطبي في دراسته لنحو اللغة العبرية وصياغة قواعده، وضع اللغة العبرية في عصره، فهي لغة ضاعت من الاستعمال والتداول اليومي لدى العبرانيين منذ السبي البابلي، وصارت منحصرة في المعابد ولدى رجال الدين، وهذا ترتب عنه مشكلات من جهات مختلفة:

[1] ابن جناح، **اللمع**، 50/1.

1. حاجة الكتابة للعبرانيين إلى لغة يفهمونها، ما داموا لا يفهمون الكثير من لغتهم الأصل، وهذا جعل الدارسين في منطقة مفارقة بين تحديين، تحدي ما يفرضه الواقع، وتحدي ما يقبله ذلك المتكلم المتعصب لأصله الضائع، فالكتابة باللغة العبرية والاكتفاء بها يجعل المكتوب غير مفهوم بالنسبة للقارئ العبراني، وهو المقصود الأول بهذه الكتب، والاعتماد على اللغة التي يفهمها العبرانيون في ذلك العصر، وهي اللغة العربية، يثير حافظة النقاد من الرّوافض والمتعصبين، وهي مسألة مشكلة، جعلت الرجل يكتب بقلق وتدمر كبيرين يلحظان بين سطور المكتوب، لاسيما في كتابيه اللمع والمستلحق، بل أحيانا كثيرة يصرح به، ويحاول تهدئة الوضع عن طريق التعليل المنطقي للمسألة، بأن الاتكال على العربية لا يعني حاجة العبرية إليها، وإنما هي حاجة اجتماعية يفرضها الوضع المقلق للغة العبرية، ذلك أن القراء المفترضين لا يفهمون غير العربية من اللغات لوضع اللغة العبرية في ذلك العصر؛ إذ ضاعت من التداول وصارت محصورة في الجانب الديني فقط منذ السبي البابلي وما والاه مما عرفه العبرانيون من الاضطهاد، من ذلك قوله: "وقد أرى أن أمثل لك مثالا من اللغة المستعملة في زماننا هذا وهي اللغة العربية لا جعل اللغة العربية حجة على اللغة العبرانية لكن لأني أعلم أن كثيرا من العبرانيين لم يعتدوا سماع مثل هذا القول ولا عرفوه وأن من لم يعتد سماع شيء ما ربما نافره في أول وهلة واستبشعه واستفظعه فذلك ما رأيت أن أزيدك وضوحا وبيانا في ما ذكرته لك في חזכו مما استعملته العرب في لغتهم"[1].

2. **ضعف المادة المعرفية الموجودة**، واضطراره إلى الاقتصار على ما وجد في كتب السلف، وهي مادة غير كافية من جهة، وتحتاج إلى نقد وتحقيق من جهة ثانية، وهي أمور تفرض على الدارس مواجهة التحديات من خلال الانفتاح على اللغات والثقافات، لاسيما أقرب لغة إلى لغة العبرانيين بعد السريانية، وهي اللغة العربية، وهي اللغة التي يرفض اليهود اللجوء في دراسة لغتهم إليها نتيجة الصراع الدائم بينهم وبين العرب عقديا وتاريخيا.

[1] ابن جناح، **المستلحق**، 140-141.

رابعا: طبيعة المادة العلمية: من التحديات التي واجهها أبو الوليد في دراسته نحو العبرانية طبيعة المادة اللغوية المتوافرة، فهي مادة غير موثوقة ولا تصلح للاستناد إليها في الدراسة، نتيجة ما تعرضت له من التحريف من النساخ والكتبة، وهي مسألة طالت كتابهم المقدس، نظرا لطريقة كتابته وتعدد كتبته وامتدادهم في الزمان والمكان، فكيف بالكتب البشرية، وهي مسألة لم تكن مجرد فرضية عند أبي الوليد، وإنما تحقق منها من خلال مجموعة من النتائج، مما أثار مشكلات كثيرة في الفهم والدراسة والتحليل، كما أثارت مشكلات أيضا في المادة اللغوية المعالجة ذاتها، ذلك أن ثمة مواد صارت محرفة ولم تعد مستعملة وليس هناك عبرانيون خلص يحفظون الأصل ليكونوا مرجعا في التصويب اللغوي، والكتب ليست مرجعا ثقة، يقول ابن جناح: "ولا أقول إن هذا القول لأز [أز: اختصار لاسم شيخه أبي زكرياء حيوج الذي ينتقد كتابه] أصلا بل هو لا محالة لبعض الناظرين في كتابه ممن ألحقه على رأية نفسه في طرة بعض النسخ فنسخه وراق جاهل من الطرة في نفس هذا الكتاب الذي رأيته فيه وهو بعده من قول الواضع ولقد أخبرني ابن نومي أنه رأى بمصر في نسخ من كتاب اللين أشياء فاسدة قد ألحقت فيه على أنها من نفس الواضع وإنما كانت من إملاء بعض أهل الأندلس ولقد عرفته نعم وأراني منها نتفا كان علقها لنفسه عندما أنكرها فهكذا عرض في ונירם، والدليل على صحة هذا القياس أن هذا القول لم يوجد في غير هذه النسخة وأيضا فإن فقه آز في ذوات المثلين مكذب لهذا الرأي وفاضح لمنتحله وإنما نبهت عليه في كتابي هذا خوفا من أن تنسخ نسخ كثيرة من ذلك الكتاب فينتشر الخطأ عند الناس وينتسب إلى الواضع"[1]، لهذا يصعب الانتباه إلى الأصول وفهم مواطن التحريف ما لم يتم الانفتاح على اللغات الأقرب والأفصح، وهي اللغة العربية المدونة في معاجم وكتب وبقيت محافظة على مادتها الصحيحة الفصيحة بفضل النص الديني وما كتب حوله من علوم وفي مقدمتها علم النّحو والمعاجم اللغوية بأنواعها المختلفة، وسنرى في الفقرة الموالية

[1] ابن جناح، **المستلحق**، 147.

كيف تمكن ابن جناح من تصحيح كثير من الكلمات العبرانية من خلال الكلمات العربية سواء على مستوى الصيغة أو على مستوى المعنى أو على مستوى الاستعمال.

هذه إذن؛ باختصار هي أهم التحديات التي واجهها أبو الوليد في بناء مشروعه اللغوي الدارس للغة العبرية، وهي تحديات أساسها غياب التّراث اللغوي المكتوب كتابة موثقة ومحققة يمكن الاعتماد عليها في صناعة العلوم اللغوية، وغياب العبرانيين الأقحاح، والموقف العنصري السلبي من العربية الذي قيد جهود اللغويين وموقعهم في موقع صراع بينما يقتضيه العلم، وبينما يفرضه الوسط الاجتماعي المشحون بنزعات عنصرية تشتت الجهود وتنسف المشاريع العلمية، وهذا يفهم منه ما ينبغي أن تركز عليه الثقافة المعاصرة لبناء الأجيال القادمة التي ستحمل مشعل اللغة العربية وعلومها احتراسا من مثل هذا الوضع الذي لا تحسد عليه شقيقتها العبرانية، وهو توجيه الباحثين إلى تحقيق التّراث تحقيقا دقيقا لحمايته من الاندثار، والحرص على مراجعة علوم اللغة ومؤلفاتها بما في ذلك المحققة كلما ظهرت نسخ جديدة أو طرر أو حواش؛ إذ هذا هو المدخل الرئيس لحماية اللغة ومصادرها الأساس وضمان استمرار الدراسات وفق تطور النظريات. نحتاج أيضا إلى تكوين الباحثين تكوينا علميا موضوعيا خاليا من العنصرية والتعصب، طبعا احترام الديانات والعقائد مسألة أساسية ومقدسة، لكن ينبغي في الدراسة العلمية أن نكون محايدين، أتباع للحق كما نقل ابن جناح عن الفيلسوف: "اختصم الحق وأفلاطون وكلاهما حبيب لنا بل الحق أصدق لنا ولهذا الرجل الفاضل عذر جليل"[1]، وهكذا ستكون الدراسات منتجة، لأن المؤسف أن البحوث في العلوم الإنسانية اليوم عديمة النتائج نظرا لفساد المنطلقات التي تكون في معظمها عبارة عن مسلمات ونتائج مهيأة سلفا، وليس عبارة عن إشكالات وفرضيات تتيح للباحث الملاحظة والتحليل ثم الاستنتاج واستخلاص النتائج.

3) أثر توظيف اللغة العربية في فكّ مشكلات اللغة العبرانية:

[1] **ن.م.**، 4.

اضطر اليهود والمسيحيون للكتابة باللغة العربية:

أولا لضمان التواصل مع المتلقين الذي صار أغلبهم لا يعرف إلا اللغة العربية.

ثانيا لتحقيق الاندماج في البيئة في مختلف المجالات لاسيما مناصب الدولة.

ثالثا لتيسير استثمار مواضع الاتفاق الكثيرة والدقيقة بين العربية والعبرية، وما تم استفادته من المصادر العربية التي مثلت الركيزة الأساس للنحو العبري، وإن لم يصرح بذلك اللغويون في كتبهم، فلا نجد ذكرا لأي نحوي عربي بالاسم في كتاب المستلحق ولا في كتاب التنقيح، على الرغم من أنه عول عليها كثيرا، خاصة كتاب الزبيدي في الاستدراك على سيبويه[1] الذي حضر بمختلف عناصره، مع فروق يسيرة بين المستلحق حيث لا يحيل قط وبين اللمع حيث يحيل بألفاظ عامة مثال: العلماء باللسان العربي ... وتلحظ مركزية العربية أداة للكتابة في المجالات اللغوية كلها من معجم كما في كتاب الأصول لابن جناح أو في النّحو كما في كتابي التنقيح والمستلحق أو البلاغة كما في المحاضرة لابن عزرا وغيرها من كتب العبرانيين.

1. **اللغة العربية هي المرجع في المصطلح والمنهج والتبويب**: اعتمد ابن جناح، على المصطلح اللغوي العربي بعلومه المختلفة على الرغم من بعض الاختلافات بين اللغتين الناتجة عن التطور؛ إذ العربية معربة والعبرية فقدت الإعراب منذ زمن سحيق. بجانب المصطلح الفلسفي المستفاد من المنطق الأرسطي فتحدث عن الجنس والشخص والمادة ولم يعتمد الجذر والمشتقات أو الأصول والفروع، ونلحظ أنه استند إلى المصطلحات الأساس للنحو، مع اطراد المصطلح البصري من مثل: خبر الابتداء وأسماء الفاعلين والفعل الذي لم يسم فاعله، والضمير، وحروف النفي، والبدل، واسم الفاعل والجر... وهو ما يؤكده أيضا حضور المنطق وما يعنيه من الاحتفاء بالقياس والعلة، غير أنه لم يحتف بالحدود والتعريفات على خلاف النحويين العرب لاسيما المتأخرين منهم، وما عرفه يكتفي فيه بطريقة التعريف بالمثال، ومنه تعريف الأسماء بما معناه في العبراني: ملابس وصوف وقبر

[1] الزبيدي، **مختصر العين**، قدم له وحققه نور حامد الشاذلي (د.م.: عالم الكتب، 1417هـ/1996م).

وثور وحمار وحصان[1] مخالفا بذلك أمثلة سيبويه حين قال: "والاسم رجل وفرس وحائط"[2] فأحاط بأجناس الموجودات في حين غيب نص ابن جناح الإنسان. وبنى خطته ما عدا مقدمات الفصول الشبيهة بالمقدمات الأرسطية على نهج النحويين الأندلسيين ولاسيما الاستدراك للزبيدي بالتقسيم نفسه والمقدمة نفسها، فمن قرأ كتاب المستلحق وقارنه يلحظ وحدة في القالب واختلاف فقط في اللغة مادة الدراسة وإن كان في مواضع عدة يعتمد في الدراسة والتوضيح الأمثلة والشواهد العربية مع التصريح بأنه لا يجد في ذلك أيَّ حرج.

2. **اللغة العربية هي الحجة في تحديد الأصل والفرع**: يحضر تأثر ابن جناح بالمنطق من خلال تبنيه ثنائية الأصل والفرع في النحو، ويستند إلى اللغة العربية ومنهجها النحوي للفصل في كثير من القضايا المشكلة، وسأمثل لذلك بمسألة الاسم والفعل وأيهما الأصل للآخر؟ اعتمد ابن جناح في بناء موقفه على اختيار مدرسة البصرة تهيئا للمتلقي العبراني للاقتناع به، مما يعكس حجية اللغة العربية لدى العبرانيين في ذلك البلد وكونها اللغة الأولى القريبة من أفهامهم، في حين صارت العبرية هي اللغة الدينية لكن من حيث المكنة التواصلية والتعبيرية بمثابة اللغة الأجنبية- وهذا يشبه اعتماد الترجوم الآرامي لشرح النص الديني في الخطب في عهد ازدهار الآرامية- يقول ابن جناح مثلا مقررا كون المصدر أصلا للفعل وفق تصور البصرة الذي يميل إليه في أحايين كثيرة، ولا غرو في ذلك فمصدره الرئيس الذي لم يصرح به هو كتاب سيبويه: "وهو أقدم من الفعل قُدمة طبيعية أعني الفعل يرتفع بارتفاع المصدر وليس يرتفع المصدر بارتفاع الفعل والفعل مأخوذ منه وصادر عنه أعني المصدر اسم الفعل فإنه لا يقال ضرب فعل ماض إلا وقد كان ضرب مصدر ولا يقال قتل فعل ماض إلا وقد كان قتل مصدر وإنما عبرت لك عن هذا المعنى بلفظ

[1] ابن جناح، **اللمع**، 65/1.

[2] عمرو بن عثمان سيبويه، **كتاب سيبويه**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط.3 (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1988)، 12/1.

عربي ليكون أسبق إلى فهمك فامتثل ذلك في اللفظ العبراني تجده كذلك"[1]. فهذا المثال يدل دلالة واضحة على أن اللغة العربية أقرب إلى فهم العبرانيين من اللغة العبرانية فكأنها لغة الأم والعبرية أجنبية أولى بلغتنا اليوم.. إذ ينطلق من العربية لبيان مسائل في العبرية التي هي مادة الكتاب وموضوعه وليس العكس، وفي بناء القواعد وتمييز الأصول من الفروع. وقد حذا حذو سيبويه أيضا في اعتبار الاسم قبل الفعل، والقول إن الفعل أثقل من الاسم وإن لم يوظف هذا اللفظ، وإنما وظف حكم قيمة حين وصف الاسم بأنه "أشرف من الفعل"، يقول: "فقد ظهر مما قدمنا ذكره أن الاسم أشرف من الفعل، لأن الاسم يوجد الفعل، والاسم يتركب مع الاسم دون الفعل ودون الحرف. وتبين أيضا أن الفعل أشرف من الحرف"[2]، وفي المعنى نفسه يقول سيبويه معتمدا الخفة والثقل: "اعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض، فالأفعال أثقل من الأسماء؛ لأن الأسماء هي الأولى وهي أشد تمكنا، فمن ثم لم يلحقها تنوين ولحقها الجزم والسكون"[3].

3. **العربية هي العمدة في شرح الألفاظ العبرانية المشكلة**: صرح ابن جناح بلفظ العربية في أكثر من خمسين موضعا من كتابه الأصول، ويسر له اعتمادها حل بعض المشكلات العالقة في اللغة العبرية من مثل معنى كلمة "אנך" [أنخ] التى أثارت مشكلة كبيرة في التّراث العبري اللغوي، وقد كتب عنها أحد المستشرقين مقالا تتبع مشكلاتها في المعاجم العبرية[4]، وتمكن ابن جناح من إيجاد مخرج للمشكل أو على الأقل المعنى القريب بالاعتماد على المعجم العربي، حيث وجدها مجانسة لكلمة الأنُك العربية التي تعني القصدير، يقول: "الألف والنون والكاف אנכי لغة في אני [أيضا] أي أنا: על חומת אנך (هو الرصاص)

[1] ابن جناح، **المستلحق**، 13.

[2] ابن جناح، **اللمع**، 72/1.

[3] سيبويه، **الكتاب**، 20/1-21.

[4]. Rav Yitzchak Etshalom, *Tanakh*, The Prophecies of Amos: The Visions - Vision #3 (7:7-9): *The Anakh (2)* | Yeshivat Har Etzion, 1/11/2022.

وتقول له العرب الآنك بمد الهمزة وضم النون... وبقوله أيضا ובידו אנך إنما هو الرصاص الذي يقدر به البناء البنيان..."[1]؛ فمرجع ابن جناح في تحديد هذه المادة التي وظفت في التّوراة ثلاث مرات على ما أكدت بعض الدراسات هو المعاجم العربية. طبعا قد يحتاج هذا الرأي إلى مراجعة من خلال التأثيل للكلمة وتبين معانيها وفق سياقات ورودوها، وقد نعمل على ذلك مستقبلا بإذن الله تعالى، لأن ما يهمنا في هذه الدراسة هو إبراز كيف اتخذ ابن جناح من اللغة العربية مرجعا لفك بعض المستغلقات في اللغة العبرية.

4. **العربية هي الأساس في تعليل الصيغ الصرفية المشكلة وتحديد أصول الكلمات**، تمكن ابن جناح أيضا من فك لغز كلمة غريبة في اللغة العبرية من خلال قاعدة الإبدال في اللغة العربية، ويتعلق الأمر خاصة بحروف الحلق، فمن الكلمات العبرية المشكلة האזניחו: حيث يتوالى صوت الألف وصوت الهاء الحلقيان في أول الكلمة مما أثار مشكلة، لأن الهاء هنا حرف أصلي في الكلمة وليس علامة للتعريف، ولا يقبل توالهما في العبرية، وتمكن عن طريق المقارنة بين العربية والعبرية من إثبات أنه وقع إبدال الهاء من الألف أولا ثم جمع بين الأصلين في كلمة واحدة. يقول: "وأما האזניחו فإنهم أجمعوا فيه الاستعمالين أعني أنهم ركبوه من הזניחו ومن אזניחו وإن كانت الألف في אזניחו مكان هاء مبدلة منها. وقد جرى مثل هذا الاستعمال في بعض كلام العرب أعني في قوله (إذا) أراق الماء فإنهم يبدلون من هذه الهمزة هاء فيقولون هراق الماء كما أبدل العبرانيون من هاء الكلمة الأولى همزة، ثم إن العرب أدخلت على هراق الهمزة فقالوا إهراق وإن كانت الهاء مبدلة من همزة كما أدخل العبرانيون على אזניחו الهاء فقالوا האזניחו وإن كانت الهمزة بدلا من هاء"[2]. إذن لقد خولت المكنة في العربية وقراءة قواعدها النحوية والصرفية لابن جناح إيجاد تفسير لغوي لهذه المادة التي تبدو شاذة في المعجم العبراني.

[1] ابن جناح، **الأصول**، 1969. كتاب بصيغة pdf، 59-58.

[2] ابن جناح، **الأصول**، 200.

يتضح من النماذج السابقة، وغيرها كثير في كتب ابن جناح القرطبي، كيف استثمر اللغة العربية في فك بعض المستغلقات النحوية في النّحو العبراني سواء من حيث الدلالة، أو من حيث الصياغة، أو من حيث بناء الجمل وانتقاء المصطلحات وبناء القواعد، ويتضح منه مدى حاجة دراسة نحو اللغة العبرانية إلى اللغات السامية، وفي مقدمتها السريانية والعربية، وهو أمر لا ينحصر في اللغة العبرية وإن كانت لها خصوصيات نتيجة السبي وما أسفر عنه، لكن كل لغة تحتاج إلى لغات أخر لدراستها دراسة شاملة، فثمة ألفاظ في القرآن الكريم لم يقدم المفسرون معناها الدقيق نتيجة اقتصارهم على اللغة العربية، ومن أمثلة ذلك "البِيع" و"الصلاة" و"التابوت"، وغيرها كثير وإن كان لا يصل إلى مستوى المادة العبرانية التي هي بحاجة في بيانها إلى العربية. فالدراسة الدقيقة لكل لغة تحتاج إلى الانفتاح على اللغات لاسيما التي تشترك معها الأصل أو تبادلت معها التأثير لأسباب معينة، وهنا ندعو الباحثين إلى ضرورة الانفتاح على اللغات لا بهدف الإسقاط السلبي لقواعد لغة على أخرى، لكن للاستفادة منها في فكّ المستغلقات وحلّ المشكلات التي تكون في معظمها نتيجة عن الدخيل من لغة إلى أخرى.

نتائج وتوصيات:

نخلص من تتبع مستوى حضور اللغة العربية في مشروع ابن جناح النحوي إلى:

- مركزية اللغة العربية في صناعة المشروع النحوي لابن جناح اليهودي أداة ومادة وشواهد ومرجعا في حل المشكلات.
- أهمية البيئة والمحيط السليمين الآمنين في توطين اللغات وتيسير دراستها وصناعة قواعدها بموضوعية وحياد.
- أهمية الانفتاح على اللغات المؤثرة في اللغة موضوع الدراسة في بناء نحوها وصياغة قواعدها وتفسير مشكلاتها.
- أهمية الانفتاح على العلوم والاجتهاد المبني على أسس في بناء العلوم والتأسيس للنظريات.

- لا يمكن دراسة نحو أي لغة دراسة شاملة ما لم يتم الانفتاح بموضوعية وعلمية على أسرتها اللغوية واللغات التي تفاعلت معها لسبب ما.
- نقد الفكر النحوي ومراجعته لا يمكن أن يعني البتة القطيعة مع التّراث، وإنما هو إعادة النظر في التّراث بقراءته قراءة موضوعية وتقييمه داخل السياق الذي أنتجه ثم الاستدراك عليه وفق مستجدات البحث في المجال.
- مراجعة العلوم لا يعني إقحامها في السياسة والايديولوجية أو العكس، وإنما تعني بحث العلم بآليات علمية ومداخل معترف بها لخدمة البحث العلمي والباحثين.

ونستفيد مما سبق أن مراجعة النّحو العربي يقتضي منا الاستفادة من التجربة الأندلسية التي تمثل طفرة نوعية في التّراث العربي سواء في جانبها العبري الموضوع داخل البيئة العربية أو في جانبها العربي. ولا أقصد بالنّحو هنا فقط التركيب وإنما مستويات الدرس اللغوي كلها ومنها المعجم الذي يحتاج إلى مراجعة دقيقة للفصل بين اللغة والاصطلاح من جهة وللتأصيل للمواد من جهة ثانية بطريقة دقيقة.

وتوصي الدراسة بما يأتي:

- ضرورة الاهتمام باللغات السامية والشرقية لأهميتها في مراجعة الدرس اللغوي العربي.
- توجيه الدارسين نحو تحقيق التّراث لحمايته من التلف.
- توجيه الباحثين إلى ضرورة الالتزام بقيم البحث العلمي وفي مقدمتها الموضوعية والحياد.
- بناء العلوم يقتضي الانطلاق من أسئلة جوهرية وفرضيات معقولة ولا يستقيم إذا انطلق منا المسلمات والنتائج أو ارتقى بالتّراث إلى مستوى التقديس أو نزل به إلى مستوى التدنيس وإنما قراءته بموضوعية واجتهاد داخل السياق الذي أنتجه للاعتراف بما أنجزه، واستدراك ما فاته، وتصويب ما جانب فيه الصواب؛ إذ هكذا تتطور العلوم.

المصادر والمراجع:

ابن جناح القرطبي، مروان. **كتاب اللُّمع**، قلب رسم حرفه إلى اللغة العربية ونقحه وقدم له مولاي المامون المريني، قدم له أحمد شحلان. ط.1. مراكش: مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، 2021.

ابن جناح، مروان القرطبى. **الأصول**. د.م.ط، 1969. كتاب بصيغة pdf.

ابن جناح أبو الوليد مروان القرطبى. **المستلحق**، ضمن: (كتب وسائل لأبي الوليد مروان ابن جناح القرطبي، طبعه مع ترجمه إلى الفرنسية جوزيف ديرنبورغ وهرتويج ديرنبورغ. باريس: المطبعة الوطنية، د.ت.

ابن جناح أبو الوليد مروان القرطبى. **رسالة التنبيه**. ضمن: (كتب وسائل لأبي الوليد مروان ابن جناح القرطبي). طبعه مع ترجمة إلى الفرنسية جوزيف ديرنبورغ وهرتويج ديرنبورغ. باريس: المطبعة الوطنية، د.ت.

أبو حيان الغرناطي. **كتاب الإدراك للسان الأتراك**. اهتم بتصحيحه جعفر أوغلي حمد. إسلامبول: مطبعة الأوقاف، 1930.

الزبيدي. **مختصر العين**. قدم له وحققه نور حامد الشاذلي. د.م.: عالم الكتب، 1417هـ/ 1996م.

سيبويه، عمرو بن عثمان. **كتاب سيبويه**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط.3، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1988.

عنان، محمد. **دولة الإسلام في الأندلس**، ط.4. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1997.

Rav Yitzchak Etshalom: *Tanakh, The Prophecies of Amos: The Visions - Vision #3 (7:7-9): The Anakh (2)* | Yeshivat Har Etzion, 1/11/2022.